د.مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: قضايا نقدية
التخصص: أدب حديث ومعاصر ـ ماستر
المستوى: ثانية ماستر، السداسي 3

المحاضرة رقم 04

عنوان المحاضرة: النقد العربي والمناهج النقدية

لقد تعددت المناهج النقدية في العصر الحديث، وأصبح التطور في مناهج النقد أمرا ملحوظا وملموسا بكثرة خاصة عند الغرب، وتعد هذه المناهج النقدية الغربية مصدرا أساسيا للحركة النقدية العربية، إذ لم يستمد النقد العربي الحديث أسسه النظرية من التراث العربي فحسب، بل اتكأ أيضا على مرجعية غربية مكنته من إعادة ضبط التصورات والمفاهيم من خلال الانفتاح على قيم وأفكار جديدة تختلف عما كان عليه في المرحلة الإحيائية، وتتمثل هذه القيم الجديدة في تلك الروافد العلمية والفلسفية التي نشأت في أوروبا.

وتأثر النقاد العرب بالنقد الغربي الحديث، فانتهجوا مناهجه التي بدت مختلفة كلية عن العملية النقدية التي كانت سائدة لدى العرب،

وفي ظل التحولات النقدية الحديثة والمعاصرة والتأثر بمبدأ المثاقفة وعن طريق الاحتكاك المباشر أو الترجمة أو البعثات العلمية، استقى العرب كثيرا من المناهج والمصطلحات النقدية المستخدمة لدى الغرب، وأخذوا يسقطونها ويطبقونها على النصوص الأدبية العربية.

وقد تبلورت هذه المناهج النقدية واتخذت مسارين في توجهها، بحيث قسم الدارسون النقد إلى قسمين: نقد سياقي وآخر نسقي.

النقد السياقي: يحدد العديد من الدارسين النقد السياقي بأنه:

ـــ "الممارسة النقدية التي تقارب النص الإبداعي معتمدة في ذلك على المؤثرات الخارجية (سواء كانت تاريخية أو نفسية أو اجتماعية) "

ـــ "تلك المناهج التي تعنى ببحث العوامل الخارجية التي تحيط بالأدب وتؤثر فيه، محاولة تفسيره على ضوء السياق الاجتماعي له، وإن كانت هذه المناهج تتحول في أغلب الحالات إلى تفسيرات علمية تحاول رد الأدب إلى أصوله، ويحاول أصحاب هذه المناهج عزل سلسلة محددة من الأفعال الإنسانية، ثم ينسب لهذه الأفعال الدور الأساسي والحاسم في تشكيل العمل الأدبي، وهكذا نجد فئة من هؤلاء يعدون الأدب نتاج مبدع فرد في المقام الأول، ويخلصون من ذلك إلى ان الأدب ينبغي أن يدرس على ضوء حياة المؤلف ونفسيته، ونجد فئة ثانية تبحث عن العوامل الإنسانية المحددة للخلق الأدبي في الحياة المؤسسية للإنسان، وتعنى بالظروف الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية، وقد نجد فئة ثالثة تصل إلى تفسير الأدب على ضوء تاريخ الأفكار".

ـــ "المناهج الخارجية أو السياقية هي المناهج التي تعاين النص من خلال إطاره التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي، وتظهر السياق العام لمؤلفه، أو مرجعيته النفسية، وهي دعوة ضمنية إلى الإلمام بالمرجعيات التاريخية والسياقات المحيطة بالمبدع، بغية دخول النص".

ـــ "مناهج النقد السياقي هي تلك الممارسة النقدية التي تقارب النص الإبداعي معتمدة في ذلك على المؤثرات الخارجية (سواء أكانت تاريخية، أو نفسية، أو ميثيودينية، أو اجتماعية) والتي أحاطت بميلاد النص الشعري".

بناء على ذلك فالنقد السياقي هدفه إضاءة النص الإبداعي من الخارج وذلك باستثمار كل ما يحيط بالنص من سياقات تاريخية واجتماعية ونفسية لما للنص من شبكة علاقات بينه وبين تلك السياقات، لأن النص مثلما يتولد من ذات مبدعة فإنه يخضع للمؤثرات الثقافية والحضارية التي توجه رؤية المبدع وبالتالي تكون تلك التوجيهات الخارجية سبيلا لفهم النص الإبداعي والكشف عن أسراره.

وأبرز المناهج السياقية التي تندرج ضمنها: المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي، فلكل منهج آلياته المنهجية التي تعتمدها في مقاربة النص، وهي تختلف من منهج سياقي لآخر، لذلك وجب علينا معرفة كل منهج على حدة.

ـــ **المنهج التاريخي:** منهج "يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره، أو التاريخ الأدبي لأمة ما"، فهذا المنهج يعمل على إبراز الظروف التاريخية التي أنتج فيها النص، دون الاهتمام بالمستويات الدلالية الأخرى، أي أن التاريخ هنا يكون خادما للنص ودراسته لا تكون هدفا قائما بذاته، بل تتعلق بخدمة هذا النص، أي أن المنهج التاريخي يعنى بدراسة الأديب، ومعرفة العصر الذي عاش فيه والأحداث العامة والخاصة التي مر بها، أي دراسة النص في ضوء حياة ذلك الأديب وسيرته والظروف التي أثرت عليه.

وقد انتقل هذا المنهج عن طريق المثاقفة والترجمة، إذ نجد في نهايات القرن العشرين بداية الممارسة النقدية التاريخية، فمن أهم رواد العرب نجد: "أحمد ضيف" (1880-1945) الذي عد أول متخرج من مدرسو لانسون الفرنسية، فهو أول أستاذ للأدب العربي... وحصل على الدكتوراه من جامعة باريس، كما نجد كذلك "محمد منذر (1907- 1977)الذي يمكن عده الجسر التاريخي بين النقد الفرنسي والعربي .

ـــ **المنهج الاجتماعي:** اتجاه من الاتجاهات الخارجية لدراسة الأدب، وهو منهج يعمد إلى ربط الأدب بالمجتمع لأن الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السياسية والاجتماعية والثقافية، وتنطلق فكرة المنهج الاجتماعي من النظرية التي ترى أن الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه من اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها.

ومن رواده عند العرب (النقاد) فقد ظهرت البذرة الأولى في كتابات " أحمد أمين" و"سلامة موسى" متجليا في تفاعل الرؤيتين التاريخية والاجتماعية تفاعلا بسيطا يستمد مرجعياته النقدية من "سانت بيف" و"هيبوليت تين"، ثم تطور على يد "لويس عوض" الذي كان له العديد من البحوث على هذا المنهج، كم نجد "محمود أمين" و الناقد المغربي "محمد بنيس" ونجد في الجزائر "عبد الله الركيبي"، "محمد مصايف"، "زينب الأعوج"، "مخلوف عامر" و"أحمد طالب".

ـــ **المنهج النفسي:** فهو "ذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية، ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة، وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة".

ومن رواد هذا المنهج عند العرب نجد "أمين الخولي" (1896-1966) نشر بحث بعنوان: "البلاغة وعلم النفس"، ونجد كذلك "عباس محمود العقاد" (1889- 1964) و"عبد القادر المازني" (1890- 1949) ونجد كذلك "مصطفى سويف".

ـــ إلا أن ما يعاب على هذه المناهج أنها مناهج غير قادرة على الكشف على الخواص النوعية للأعمال الأدبية، أي أنها تكتفي برصد الظواهر ولا تتعمق في تفسرها ولا تتغلغل إلى باطنها لاستخراج أسباب جمالها وتأثيرها.

ـــ **النقد النسقي أو المناهج النسقية:** تدرس النصوص الأدبية من الداخل وتسعى للكشف عن العلاقات الداخلية التي تتحكم فيها وأهملت العوامل الخارجية للنص، وتندرج ضمنها (البنيوية، الأسلوبية، السيميائية، التفكيكية، نظريات القراءة والتلقي والتأويلية...).

ـــ **البنيوية:** لم ينبثق المنهج البنيوي في الفكر الأدبي والنقدي في الدراسات الإنسانية فجأة، وإنما كانت له إرهاصات عديدة تخمرت عبر النصف الأول من القرن العشرين، في مجموعة من البيئات والمدارس والاتجاهات المتعددة والمتباينة مكانا وزمانا، "فقد كانت أفكار العالم اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" هو المنطلق لتوجيهات البنيوية، من خلال المبادئ التي أملاها على تلاميذه في الدراسات اللغوية في جنيف، فهي تمثل بداية الفكر البنيوي في اللغة"، ولا يمكننا فهم البنيوية إلا بتحديد مفهوم البنية؛ هذه الأخيرة يعرفها "جان بياجيه" بأنها: "نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا، علما من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه".

وكان النقاد العرب، شأن النقاد البنيويين الغربيين، يعدون النص بنية مغلقة على ذاتها ولا يسمح بتغير يقع خارج علاقاته ونظامه الداخلي.

وعليه فالبنيوية إذن منهج نقدي يعنى بدراسة النصوص الأدبية من داخلها، أي نبدأ بالنص وننتهي به.

وقد كانت فاتحة عهد العرب بالبنيوية مع بداية السبعينيات من القرن الماضي حيث راح روادها يقومون بتعريب النقد الغربي، وتقديمه إلى الساحة النقدية العربية، ثم توالت البحوث في ميدان الدراسة البنيوية على اختلاف آلياتها واتجاهاتها مثل:

- كمال أبو ديب: في كتابه (البنية الإيقاعية للشعر العربي)، و(جدلية الخفاء والتجلي) الذي يعتبر من أبرز المؤلفات النقدية حيث اهتم بالنقد العربي.
- صلاح فضل: (النظرية البنائية في النقد العربي) والذي قام من خلاله بالتأصيل التفصيلي للبنيوية التي كانت لها بذور قد غرسها الرواد الأوائل في الوطن العربي.
- عبد الله الغذامي (الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية في عام 1985.الذي يبنى فيه منهجين نقديين وهما البنيوية والتشريحية التفكيكية.
- نبيلة إبراهيم التي ترى أن المنهج البنيوي يعتمد في دراسته للأدب على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته، بوصفه بناء متكاملا بعيدا عن أية عوامل أخرى، أي أن أصحاب الاتجاه يعكفون من خلال اللغة على استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية التي تحرك العمل الأدبي.

ـــ إلا أن ما يؤخذ على هذا المنهج أنه يغفل أثر التاريخ، والظروف الاجتماعية، وكذلك يدعو إلى تحرير النص من سلطة المؤلف، وأيضا يغفل باقي العوامل الخارجية في بناء النص، وأنه لا يأخذ في الحسبان أهمية المتلقي في بناء دلالات النص وذوقه الشخصي في تقويم النص واستكناه جماله، فهي ترى النص منقطعا عن مبدعه ومجتمعه وبيئته.

ـــ **التفكيكية:**والتي نشأت على أنقاض البنيوية، ازدهرت في السبعينيات من القرن الماضي،"وترتبط التفكيكية أو التقويضية باسم الكاتب الفرنسي "جاك دريدا" الذي عرف بتعدد جوانبه وخصب اهتماماته"، وتنصب الدراسة التفكيكية على النصوص الأدبية، محللة إياها وكاشفة عن معانيها ومواطن القلق بها، وسلبياتها ويتطلب هذا قراءة النص قراءة مزدوجة فهو من ناحية يكشف ويعري المقولة العقلانية التي يرتكز عليها النص، ويلفت النظر إلى لغة النص وإلى مكوناتها البلاغية ومحسناتها البديعية ويشير إلى وجود النص في شبكة من العلاقات النصانية".

ومن روادها في النقد العربي: هشام صالح وعبد العزيز بن عودة

ـــ وما يؤخذ على هذا المنهج أيضا أنه منهج قائم على التشكيك وزعزعة كل يقين، وأن شكها في اللغة نتج عنها شك في كل قراءة أو تأويل للنصوص، وهكذا فتحت التفكيكية الباب على مصراعيه لتعدد القراءات، وأنها أيضا تلغي المؤلف وتحكم عليه بالموت، وبهذا يصبح المؤلف ناسخا فقط لنصوص أدبية وتتجاهل مواهب الأدباء وفرديتهم وتميزهم.

ـــ ومن المناهج النسقية أيضا نذكر: السيميائية، الأسلوبية، نظرية التلقي... وغيرها فلا يمكننا أن نحيط بكل هذه المناهج في هذه المحاضرة، فقد اكتفينا فقط بذكر بعضها مع ابراز بعض المفاهيم المتعلقة بكل واحد منهم.

ووفقا لما سبق يمكننا القول بأن المناهج السياقية هي التي تتناول الأبعاد الخارجية والمؤثرة في النص وهذه الأبعاد تتعلق بكاتب النص وبيئته التي نشأ فيها، والتي انعكست على السطور الداخلية للنص.

في حين نرى أن المناهج النسقية جاءت من أجل الاهتمام بالنص ومحتواه الداخلي بعيدا عن سياقه الخارجي، إلا أن الأولى (المناهج السياقية) ما يؤخذ عليها أنها اهتمت بالأديب وكل الظروف والملابسات الخارجية وأهملت النص وخصائصه الفنية والجمالية، كما يعاب على الثانية (المناهج النسقية) أنها تعاملت مع النص فقط بعيدا عن باقي العوامل الخارجية التي ساهمت في بنائه (الأديب، التاريخ، الظروف الاجتماعية، الظروف النفسية...).

مراجع ومصادر المحاضرة:

ـــ جميل حمداوي: النقد العربي ومناهجه.

ـــ محمد بلوحي: آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقارنة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية.

ـــ ياسين السيد: التحليل الاجتماعي للأدب.

ـــ بسام قطوس: دليل النظرية النقدية المعاصرة

ـــ يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي.

ـــ عبد الجواد المحمص: المنهج النفسي في النقد، دراسة تطبيقية على شعر أبو الوفاء، مجلة الحرس الوطني، ع16.

ـــ صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر.

ـــ جان بياجيه: البنيوية.

ـــ إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك.

ـــ يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث.